مداخلة

منتديات الحوار التربوي نحو آفاق التطوير

مشهور البطران

هذه الورقة هي رؤية لمسارات التطوير الممكنة لمنتديات الحوار التربوي التي بادر إليها وأطلقها مركز القطان للبحث والتطوير التربوي في السنتين الأخيرتين، وهي تتكون من قسمين رئيسين:
١. مداخلة تطويرية في المناحي الإدارية المتعلقة بإدارة وتنظيم بنية هذه المنتديات.
٢. مداخلة تطويرية في الرؤى والأفكار والرسالة الثقافية والاجتماعية التي تتبناها المنتديات.

القسم الأول: (رؤية بنيوية)

حتى الآن–ومن خلال التجربة الواقعية– يتبين أن منتديات الحوار التربوي تتحدد ملامحها الأولية والعامة كآلاتي:

- أطر تربوية وثقافية واجتماعية للمعلمين بادر إليها وأطلقها مركز القطان.
- معظم هذه المنتديات حالات جنينية غير ناضجة وغير مستقرة ويعوزها الوقت والرؤية والجهد والتنظيم حتى تلامس حالة النضج المطلوبة.
- الغياب شبه الكامل للتنسيق ما بين هذه المنتديات.
- لا يوجد–نسبياً– إشراف ممنهج أو مساءلة من مركز القطان للجان المنتديات.
- العلاقة الإدارية بين المنتديات والمركز غير واضحة المعالم.

وفي هذا الإطار، ثمة تساؤلات مهمة ذات علاقة بالوضعية الإدارية والقانونية لهذه المنتديات:

- ما نوع العلاقة بين المنتديات ومركز القطان؟ (ماذا نحن كمنتديات بالنسبة لمركز القطان؟)
- هل يوجد برنامج عمل موحد لهذه المنتديات؟ أم أن ثمة مجالاً موسعاً للارتجال والعفوية؟
- هل لجان المنتديات الحالية ستبقى إلى ما لانهاية؟
- هل يمكن أن يكون مستقبلاً انتخابات لاختيار لجان تنسيق المنتديات؟
- هل يجوز لهذه المنتديات –حالياً– إجراء انتخابات على عاتقها لاختيار لجان التنسيق؟

من الصعب الحديث عن تطوير المنتديات في غياب أجوبة شافية عن هذه التساؤلات، وفي تقديرنا أن غياب الأجوبة أحد أسباب عدم وصول المنتديات إلى حالة النضج المطلوبة، وفي هذا الصدد اقترح:

١. الإسراع في إيجاد صيغة قانونية ترتب وضعية المنتديات بالنسبة لمركز القطان، بحيث يمتلك كل منتدى وثيقة قانونية تغطيه أمام الجهات الرسمية.
٢. وضع هيكلة إدارية لهذه المنتديات، بحيث تحقق رؤية مركز القطان من جهة، وتراعي خصوصيات المنتديات من جهة ثانية.
٣. الاتفاق على صيغ محددة للتقارير المالية والإدارية المرفوعة لمنسق شؤون المنتديات.
٤. إيجاد آلية معينة لاختيار لجان المنتديات.

ومع إيماننا أن المأسسة تثير نوعاً من القلق لدى البعض، فإن البديل الآخر أكثر إقلاقاً، فالتسيب والضبابية وعدم إناطة المسؤوليات لأشخاص محددين، يحيل إلى الفوضى والاتكالية. من الممكن أن نشتغل معاً، وهذه دعوة لنا جميعاً للاشتغال على صيغة هيكلية:

- توازي بين المركزية واللامركزية.
- تسد السبيل أمام البيروقراطية وسلطة الفرد وترتقي في الوقت نفسه بالعمل الجماعي.

الصيغة التالية المقترحة هي هيكلة أولية من الممكن الاشتغال عليه وتطويرها وتحديد مهام أعضائها بالتعاون مع المنتديات الأخرى.

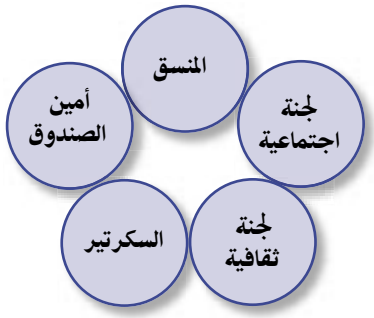

القسم الثاني:

قبل أن أبدأ بطرح الرؤى التطويرية في هذا المجال، أود أن أستعرض الملامح العامة للخطاب التربوي الرسمي:

- إدارات تربوية تقليدية مرهونة الوصاية بالكامل لسلطة أعلى منها.
- معلم أغلب الأحيان سلبي يمتهن التعليم امتهاناً.
- طالب مستقبل للمعلومات لا يساهم في بنائها.
- طرائق تدريس مستهلكة تفرض الوصاية على

الطالب من قبل كل من هم أعلى منه في تراتبية الحاكم والمحكوم.

- طرائق تقويم كلاسيكية تعتمد على الكم وليس النوع.
- منهاج دوغماتي متعالٍ غير قابل للنقاش إلا في حدود ضيقة.

إن "هذا الشكل من الخطاب التربوي يقف وراءه سلطة ومصلحة وتاريخ، وعليه فإن ممارسة التربية بهذا الشكل السلطوي تصبح جهازاً لصناعة الأفراد الذين يقفون ضد أنفسهم".[1] وبهذا المعنى، تصبح التربية نوعاً من التعليم والإخضاع، وهذا الإخضاع لا يشمل الطالب فقط، بل يشمل المعلم أيضاً. على هذا النحو، تصبح العلاقة بين الطالب والمعلم علاقة السيد بالعبد، وتنسحب هذه العلاقة بين المدير والمعلم، وكذا المدير ومن هو أعلى منه في تراتبية السلطة. والأسوأ من ذلك أن الخاضعين ضمن هذه المنظومة يجترحون آليات لإخضاع واستلاب أنفسهم.

في تقديرنا أن رسالة المنتديات الفكرية والثقافية يجب أن تكون موجهة صوب هذا الخطاب بالنقد والتحليل، ولا أدعي أن المنتديات قادرة على حل كل هذه الإشكاليات، وإنما القصد هو خلق حالة حوارية مجتمعية يشارك فيها المعلمون والطلاب وقوى المجتمع المدني، لمساءلة المنظومة التربوية ونقدها. بمعنى أن يساهم المنتدى في خلق حالة ثقافية حوارية تعايش الحالة التربوية والاجتماعية

معايشة دائمة. إن هذه الحالة الحوارية لا بد أن تساهم في إفراز حس نقدي يساهم ولو قليلاً في زعزعة أركان هذه المنظومة القارة.

ولهذا السبب نقول إن فكرة منتديات الحوار التربوي تنهض على هدفين استراتيجيين:

١. تنمية المعلم ثقافياً.
٢. تعميق العلاقة بين المدرسة والمجتمع في السياق الثقافي الاجتماعي.

وحيث أن الثقافة هي كل ما أنتجه العقل الإنساني من فكر ومادة، وكل ما يترتب على ذلك من قيم وسلوك واتجاهات وعادات وتقاليد، وبالتالي فالتربية هي حالة خاصة من الثقافة، ولذا يفترض أن يكون التربوي مثقفاً، إنني أقصد بالمعلم المثقف ما يلي:

١. معلم راغب وقادر على متابعة التطورات في مجال تخصصه.
٢. قادر على مساءلة المنهاج الذي يدرسه، وكذا نقده وتحليله.
٣. له رأي فيما يدرّس.
٤. قادر وراغب في موقعة ذاته في السياق المجتمعي على جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

إذا أردنا كلجان منتديات أن نحمل رسالة ثقافية –ويجب أن نحمل هذه الرسالة– فيفترض أن نعمل على تثقيف أنفسنا أولاً، والثقافة ليست فكراً فحسب، بل هي ممارسة أيضاً، إن المعلم لا يصبح مثقفاً بقراءة الكتب فقط، بل يجب أن يترجم هذه القراءة إلى رؤية وموقف وهوية، وألا كيف يكون الإنسان مثقفاً وهو في عزلة عن مشاكل المجتمع؟! كيف يكون المعلم مثقفاً وهو لا يشارك في: مسيرات المطالبة، أو توقيع العرائض.

والسؤال الآن: كيف يمكن بناء هذه الحالة الثقافية في المناخ التربوي؟

ليكن سقراط لنا نموذجاً، كان سقراط يجوب ساحة (الجورا) في أثينا بين العبيد والعمال وعامة الناس ويسألهم عن مشاكلهم، بحيث جعل من مشاكل الحياة اليومية مادة للتأمل والحوار. ونحن في البداية يمكن أن نعمل من مشاكل المعلمين وتجاربهم مادة جيدة للنقاش. يستطيع المنتدى أن يساهم في هذه المهمة من خلال إيجاد معنى وقيمة للثقافة من خلال الآليات التالية:

- توصيل إصدارات القطان للمعلمين والمدارس، وبخاصة مجلة رؤى تربوية.
- تنظيم الندوات والحوارات وورش العمل حول المناهج وطرائق التدريس وكل ما يتعلق بالعملية التربوية.
- تنظيم معارض فنية بالتنسيق مع المدارس.
- تنظيم أمسيات شعرية للشعراء من المعلمين.
- استضافة الكتاب: (روائيين، نقاد، شعراء ...).
- إقامة عروض مسرحية.
- عرض أفلام وكتب ثقافية.
- وعلى صعيد تطوير الحالة البحثية لتشغيل آليات إنتاج المعرفة فأنني اقترح:
  ١. تفعيل مساق البحث الإجرائي.
  ٢. التشبيك مع المؤسسات البحثية.
  ٣. تفعيل الجوائز المالية الأدبية والعلمية التي تستهدف المعلمين من قبيل:
  - جائزة لأفضل بحث فكري.
  - جائزة الإبداع الأدبي (في القصة، والشعر، والرواية، والمسرح).
  - جائزة لأفضل بحث علمي.

دور المنتديات على الصعيد المجتمعي

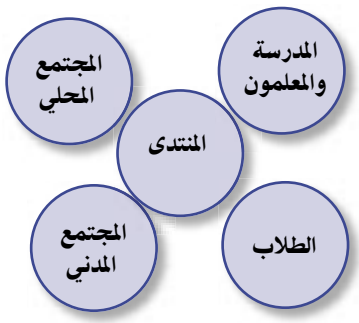

تتحدد ملامح العلاقة بين المنظومة التربوية والمنظومة الاجتماعية:

- غياب شبه كامل للمدرسة من قوى المجتمع المدني.
- غياب المعلم من مؤسسات المجتمع المدني، وبالتالي ضعف تأثيره في الحركة الاجتماعية والسياسية والثقافية.
- توضع السياسات التربوية، وبخاصة المناهج التعليمية بدون أخذ رأي المؤسسات المجتمعية.

إذن ثمة هوة بين المدرسة والمجتمع، وهذه الفجوة تعود في رأيي لسببين:

١. الصورة الشائعة عند البعض للمجتمع كمجموعة من الأفراد أو أولياء الأمور.
٢. السلطة التوليتارية معنية بعزل المدرسة عن الكيان المجتمعي لاعتبارات سياسية وأيديولوجية.

وحتى يكون لدينا مفهوم أفضل لمؤسسات المجتمع المدني نقول إنها تلك المؤسسات التي تتوسط مؤسسات الدولة الرسمية والبنى الاجتماعية العضوية (العائلة، والطائفة، والعشيرة)، وبالتالي فمكونات المجتمع المدني هي:

١. المؤسسات غير الحكومية.
٢. الأحزاب السياسية.
٣. نقابات العمال.
٤. الاتحاديات الشعبية والجمعيات الثقافية والاجتماعية.

لما كنا نتحدث عن تربية في سياق ثقافي اجتماعي، فإن:

١. جزء من نشاطات المنتدى يفترض أن تستهدف فئات اجتماعية خارج دائرة الطلاب والمعلمين.
٢. هذا من جهة، ومن جهة ثانية يجب أن يتموقع المنتدى في النسيج المؤسساتي للمجتمع، ويأخذ دوره في الحراك الثقافي والاجتماعي.
٣. التشبيك مع المؤسسات ذات الطابع الثقافي.

مقترحات:

- إدارة سلسلة حوارات بين مواطن ومسؤول (رئيس البلدية، رئيس جمعية خيرية، رئيس الجامعة، مدير المدرسة).
- تكريم الشخصيات الاجتماعية والاعتبارية، وبخاصة الصديقة منها للمنتدى. في الاحتفالات التي ينظمها المنتدى.
- مشاركة المنتدى في المناسبات الاجتماعية (تهنئة الأسرى، الناجحون، الخريجون ...).
- تكريم أوائل الطلبة في الثانوية العامة.
- تكريم المبدعين من الأدباء والفنانين من خارج الوسط التربوي.

علاقة المنتديات مع بعضها البعض:

لقد أشرت فيما سبق إلى غياب التنسيق بين المنتديات، وهذا يعود في تقديري إلى عاملين:

١. حداثة التجربة: معظم المنتديات عمرها أقل من سنة.
٢. عدم وجود هيكلة واضحة للمنتديات.
٣. ضبابية الرؤية: البعض يرى المنتديات كإطار مهني، في حين يراها آخرون أطراً ثقافية واجتماعية.

وبالتالي إذا ما أردنا أن نتحدث عن تطوير لهذه المنتديات، فإنني اقترح:

- المنتديات في طور التأسيس: توزع عليها نشرات تتضمن (تعريف بالمنتدى، فلسفة